الصوت القرآني بين التقييد الكتابي وجمال الأداء

أ .د. إسراء عريبي فدعم

كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية
الجامعة العراقية

The Quranic Voice: Between Scriptural Restriction and Performance Beauty

Prof. Dr. Israa Oraibi Fad'am

College of Education for Women
Department of Arabic Language
Iraqi University

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

الصوت القرآني بين التقييد الكتابي وجمال الأداء

أ .د. إسراء عريبي فدعم
كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية
الجامعة العراقية

The Quranic Voice: Between Scriptural Restriction and Performance Beauty

Prof. Dr. Israa Oraibi Fad'am
College of Education for Women / Department of Arabic Language
Iraqi University

Sound is a difficult science to delve into. If this difficulty is accompanied by hesitation to decide on the sound of the Quranic text, then navigating it becomes even more challenging. Despite this, we must explore the pathways of sound, its beauty, and its interactions within the Quranic text .Sound is a science that has occupied many scholars, and it is still fresh and in need of study and research. The researcher found that many of the sub-sounds of Arabic resulting from the original sounds, both good and bad, have been left undefined, without restriction, drawing, or specification. We know that all the good letters come in the Qur'anic performance, and some of them are not used in everyday linguistic performance, whether rhetorical or ordinary .Therefore, I found it necessary to research this field and present a number of symbolic proposals for letters. Let these proposals be the first nucleus for a comprehensive study in coding, because the spoken sound event takes on a different form each time when it is organized into a speech sequence. Because the coded event needs correct performance to reach the correct symbol, and because the eloquence of the text is related to performance, as modern scholars see it, in this research we dealt with the beauty of performance, and we examined the efforts of our great ancient scholars in this field.

المقدمة

الصوت علم صعب الخوض في مساربه، فإذا رافقت هذه الصعوبة التحرج من البت في صوت النص القرآني، كان الإبحار فيه أصعب، وعلى الرغم من هذا لابد لنا من البحث في مسارب الصوت وجماله وتفاعلاته في النص القرآني؛ لأن البحث العلمي لا تبت حباله ولا تنقطع أسبابه، ولا تنتهي غاياته، والصوت علم ظل شغل الكثير من العلماء، وهو مازال غضا به حاجة للدرس والبحث، وقد تبين للباحثة أن الكثير من أصوات العربية الفرعية الناتجة عن الأصوات الأصلية بمستحسنها وقبيحها قد تركت غفلا دون تقييد أو رسم أو تحديد ، ونعلم أن الحروف المستحسنة جميعها تأتي في الأداء القرآني، بل أن بعضها لا يستعمل في الأداء اللغوي الحياتي بنوعيه البلاغي أو العادي، لذا وجدت من الضرورة البحث في هذا المجال، وتقديم عدد من المقترحات الرمزية للحروف، ولتكن هذه المقترحات النواة الأولى لدارسة شاملة في الترميز، ولأن الحدث الصوتي المنطوق يلبس في كل مرة لبوسا مختلفا عند انتظامه السلسلة النطقية، ولأن الحدث المرمز يحتاج إلى صحة الأداء للوصول إلى الرمز الصحيح ولأن بلاغة النص متعلقة بالأداء كما يرى العلماء المحدثون، عالجنا في هذا البحث جمال الأداء، ووقفنا على جهود علمائنا الأفذاذ القدماء في هذا المجال.

وقد تطلبت طبيعة البحث أن يكون على مبحثين مسبوقا بمقدمة وآخره خاتمة وثبت بالمصادر.

فأرجو أن أكون قد اصبت بسهم الصبر قلب الحقيقة، والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ﷺ.

المبحث الأول

الصوت

الصوت لغة: الجرس، والجمع أصوت، والصوت صوت الإنسان، والصائت الصائح، ورجل صيِّت شديد الصوت[1]، وصوت فلان بفلان أي دعاه، وصات يصوت صوتا فهو صائت أي صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات[2].

وماهية الصوت ذبذبات تنتقل في وسط مادي إلى المتلقي، وهذا التعريف عام يشمل الأصوات بعمومها، أما الذي يهمنا في بحثنا هذا فهو الصوت اللغوي الذي حده الجاحظ بقوله: (آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن يكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت)[3]، ويحده أبو الفتح بقوله: «عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته»[4].

والأصوات على عمومها قرع يحدث في الهواء عند تصادم الأجرام، وذلك لأن الهواء لشدة لطافته، وخفة جوهره، وصفاء طبعه وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسما آخر، انسل ذلك الهواء وتدافع إلى جميع الجهات، وحدث منه شكل يصل إلى مسامع الحيوان[5].

وهذا الذي ذكره القدماء لا يختلف البتة عما وصل إليه المحدثون بأجهزتهم الصوتية الحديثة وبثورتهم التكنولوجية، يقول محمد عبد الله: (وقد تأكد للعلماء الصوتيين نتيجة بحوثهم المخبرية من أن الصوت الذي هو دفعة هوائية إرادية، تنبعث من الرئة لتتمايز إراديا، ووفق الغايات، بحواجز صوتية هي ما تعارفنا عليه بالمقاطع الانثنائية، فتتولد المعاني من صور دلالاتها الصوتية التي

---

(1) ينظر: لسان العرب (صوت).

(2) ينظر: العين (صوت).

(3) البيان والتبيين: 1/ 79.

(4) سر صناعة الاعراب: 6/1.

(5) ينظر: رسائل اخوان الصفاء 3 / 123.

تتلقى رسائلها التواصلية بفعل تحسبنا لذلك الاهتزازات الهوائية التي تنطلق عبر موجات يطلقها الصوت، فتتأتى ذبذبات سابحة على الأثير حتى يستقر منها ما يستقر في أسماعنا مدركين قوتها، صخبا وخفوتا، بانعكاس المؤثرات المرسلة من حيث قوة الذبذبات الموصلة التي تتولد فينا دلالاتها معاني الفرح أو الحزن، أو النهي أو الأمر أو أي معنى آخر من معاني الخبر والإنشاء»[1].

لقد عب الله الجهاز النطقي قدرة على إنتاج أصوات لا حصر لها، والجماعة اللغوية لا تستعمل إلا النزر اليسير من هذه القدرة، فمثلا العربية لا تستعمل إلا عددا محددا من الأصوات بمستحسنها ومستقبحها كما تعنينا صفة الصوت المفرد يهمنا صفة الصوت الحقيقية التي تظهر عندما ينتظم السلسلة النطقية الكلامية، فخواص الصوت تظهر عندما يبدأ الصوت الثاني»[2].

ويحدد د. إبراهيم أنيس الفهم العام للصوت بثلاثة أمور، هي:

- درجة الصوت
- علو الصوت
- قيمة الصوت

وترى الباحثة ، درجة الصوت تعتمد على عدد الذبذبات وكثرتها وسمك المصدر وطوله وقوة التوتر وشكل المصدر، فمثلا الأوتار الصوتية في الرجل أطول من الأوتار الصوتية عند المرأة، لذا صار صوت الرجل أضخم من صوت المرأة، وهنا ندرك الفرق بين قراءة المرأة وقراءة الرجل، فالكلمات تصدر من فم المرأة رقيقة، أما الرجل فيصدر الأصوات ضخمة خشنة، وهذا الفرق لا يؤثر دلاليا على معنى العبارة.

وفاطر النفس البشرية وخالقها أعلم برقة صوت المرأة لذا كانت قراءة المرأة للقرآن أمام الذكور بدون علة تستوجب ذلك فيه شيء من التحرج، نعم أن الفرق لا يؤثر على معنى العبارة القرآنية إلا أن رقة الصوت في نطق العبارة قد تثير مشاعر الذكور، فينصرف الذهن عن المعنى القرآني، وقد تتعرض قدسية العبارة إلى قلقلة الفكر، إذن السبب فسلجي كائن في المرأة، وعلة الحكم منع مشاعر الرجل من الانفلات عن قدسية كلام الله، أما علو الصوت فيتوقف على المدى الذي يصل إليه المصدر، ويعتمد على الإثارة وقيمة الصوت فهي الأثر السائر أو المنفر في الأذان، وبهذه القيمة يمكن أن نميز صوتا من صوت.

وعلو الصوت وقيمته يعود إلى طبيعة الجهاز النطقي للقارئ، لذا نستسيغ قراءة قارئ ما لجمال صوته وعلوه المناسب وخلافه صحيح، أما الإثارة فهي منطوقة بالدلالة القرآنية التي قد تتحدث عن الجنة فتبعث في النفس الشعور السار، أو تتحدث عن النار والعذاب فتثار في السامع مشاعر الحزن، أو تحاك في الصدر مشاعر التعجب أو الأمل وغيرها.

الأصوات الأصلية والفرعية:

ولكل لغة أصوات معلومة، وللغتنا الجميلة تسعة وعشرون صوتا، وهذه الأصوات أصول، يتفرع منها الصوت المستحسن والصوت المستقبح، يقول سيبويه: «فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا، الهمزة والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو.

وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم (الصلاة) (والزكاة) (والحياة) وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير

---

(1) الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم 21-22، والأصوات اللغوية ابراهيم انيس 6-7، وفقه اللغة وخصائص العربية 43-44.

(2) علم اللغة 144.

مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشيين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء والضاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.

وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين جيدها و رديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة[1].

نخلص من النص السابق:

أولا: أن أصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا.

ثانيا: أن علماءنا القدماء، سيبويه ومن جاء بعده، نحو المبرد في مقتضبه[2]، وابن السراج[3]، والزجاجي (ت337)[4]، لم يفرقوا بين مصطلحي الحرف والصوت، فكلا المصطلحين ينص على الحد نفسه، والذي تناولنا سلفا.

ثالثا: وهم سيبويه في المجموع الكلي للحروف، الأصلية والفرعية بنوعيها، فهي ثلاثة وأربعون حرفا وليس اثنين وأربعين حرفا، أو أن يكون سيبويه قد عد الجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين حرفا واحدا، فعلى هذا الظن البعيد يكون قد أصاب سيبويه.

رابعا: إن سيبويه يستقبح الباء التي كالفاء[5]، وابن جني يستقبح الباء التي كالميم، ولا ريب أن ابن جني زاد صوت الباء التي كالميم، وغفل عن ذكر الباء التي كالفاء، ونظن أنه عدها ضمن المستقبح من الأصوات وإن لم يذكرها، وعلى هذا يكون مجموع الحروف الكلي بحسنها وقبيحها أربعة وأربعين. وإذا سأل سائل: لم لا يكون ابن جني قد وهم في صوت الباء التي كالميم، أو أن للتصحيف يدا في جعل لفظة الميم مكان الفاء؟ نقول: ما وهم ابن جني في هذا الصوت القبيح، بدليل «أن (الميم) قد تقلب إلى (باء) حين تكتنفها في الكلمة الواحدة أصوات مجراها الفم، وأن (الباء) قد تقلب إلى (ميم) حين تكتنفها أصوات مجراها الأنف»[6]، وقد نسب هذا القلب لقبائل مازن، وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن هذا القلب نوع من التطور الصوتي[7]، وعلى أساس قلب الباء ميما، والميم باء، في بعض اللهجات، نقول: إن العربي قد رام قلب الباء ميما إلا أنه لم يخلصها ميما، فأنتج هذا الصوت القبيح الذي ذكره ابن جني، أي: أن المتحدث رام الانتقال من صوت شديد (الباء)، إلى صوت متوسط بين الشدة والرخاوة مائع، إلا أنه لم ينجح في هذا الانتقال، فصوت بحدث صوتي مستقبح، ولعل القبح هو الذي دفع بعملية التطور الصوتي سريعا ليخلص الصوت إلى (الميم)، وعلى ما قلنا يمكن أن نفسر الأحداث الصوتية الأخرى.

وعلى العموم يمكن القول: إن الحروف المستحسنة عند ابن جني رسيلة لقانون التيسير والسهولة، فالإمالة، والتفخيم، وتقريب الشين من الجيم، والصاد من الزاي، ظواهر، بل أحداث صوتية تدور في فلك قانون التيسير، أما ما استهجن من أصوات، واستقبح حدثها الصوتي، وترك الأخذ بها في التنزيل العزيز، فهي في الغالب ليست بأصوات

---

[1] الكتاب: 4.

[2] ينظر: المقتضب 192/1.

[3] ينظر: الأصول في النحو 3/ 11.

[4] اعجاز القرآن، الباقلاني 44.

[5] ينظر: الكتاب 572/4.

[6] في اللهجات العربية 115.

[7] ينظر: المصدر نفسه 117.

حقيقية بقدر كونها عيوبا نطقية، تعود إلى أسباب خلقية أو نفسية، جاء حصرها وتسجيل أحداثها نتيجة لحرص اللغوي على جمع كلام العرب غثه وسمينه، أو هي لهجات مرذولة، وهذه الأصوات المستحسنة والمستقبحة كانت وما زالت تفتقد إلى تقييد حدثها بالرسم أي: إلى نقل حدثها الصوتي إلى رموز كتابية تعين الدارس على أن يتعرفها، ولا سيما الحروف المستحسنة التي وردت في كثير من القراءات القرآنية.

نخلص مما سبق إلى أن لأصوات العربية مراتب متباينة، ولابد للناقد من معرفتها ليتسنى له الحكم على الألفاظ المبنية من هذه الأصوات، فال«انحراف الصوتي مضاد للفصاحة»[1].

خامساً: أن الحروف المستحسنة والمستقبحة لم تقيد برسم أو تقر بشكل، معين بدليل قول سيبويه (لا تتبين إلا بالمشافهة) ونحن نجد أن هذه هوة لابد من ردمها، وهنة يجب أدها فالكتابة اختراع إنساني فذ لا يأتي اعتباطا أو متقدما على اللغة بل يأتي بعد أن تقطع شوطا من التقدم والخصوصية، ثم تعلم أصواتها فالأشكال الكتابية هي)رمز الرمز »[2]، وقد استطاع العربي أن يرمز للتسعة والعشرين صوتا، التي هي الأصول أما الأصوات المستحسنة والمستقبحة فقد تركها غفلا، وإذا قال قائل وما شأننا بالفروع ما دمنا نعتمد على الأصول من الأصوات العربية كافية للمواقف اللغوية الحياتية والخطابية إلا أنها تفقد كفايتها في الموقف القرآني، وتعتري الأصوات اللغوية التغيير عندما تنتظم سلسلة الكلام فيتأثر الصوت بالصوت المجاور أو السابق، وتتلاعب الحركات في موضعه فتقلقه، يقول ابن جني عن الحركة[3] «إنها تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه»، ويقول فندريس «ليس بنا حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات المستعملة في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر من كتابتها من العلامات »[4]، فللتفاعل الصوتي أثر في إنتاج الأصوات الفروع المستحسنة والمستقبحة، ولو كان هناك ترميز للحروف المستحسنة أو إشارة إلى وجودها في الكلمة، ليسر للكثير القراءة القرآنية، فلو أننا رمزنا للألف الممالة إمالة شديدة برمز ما، أو حتى استعنا بالأرقام للدلالة على الإمالة الشديدة لعرف القارئ أن هذا موضع إمالة كذلك بالنسبة للحروف المستحسنة الأخرى.

وسنحاول في هذا البحث وضع رموز للحروف المستحسنة، وتطبيقها على عدد من الآيات القرآنية، فنقيد الحدث الصوتي القرآني برموز نئد حفظها الذي في الصدور بترميزها في الصحف، ونمد يد الاختراع الكتابي إلى هذه الأحداث الصوتية، فالحروف «عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم فان الحرف مما يوجده الباحث»[5]، ولان القرآن كتاب الله وخدمته من أجل مهام باحثي العربية كان لا بد من الاتفاق على ترميز الأصوات الناتجة من تفاعل الأصوات اللغوية في المقطع الصوتي لتيسير عملية القراءة القرآنية، وهذا ما سنحاوله في قابل البحث ومن ثم نحاول استخلاص البعد الدلالي المتأتي من التغيرات المقطعية التي تعتور السلسلة النطقية للعبارة القرآنية، الذي هو نتيجة حتمية للقاعدة التجويدية.

ترميز الأصوات الفرعية:

ولنا- في ترميز الأصوات- مقترحان:

---

(1) تنقية اللغة العربية 76، مطبوع ضمن لغة الضاد وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد.

(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 55.

(3) سر صناعة الاعراب:1/ 6.

(4) اللغة 62.

(5) اللغة بين المعيارية والوصفية 132.

1-اعتماد الأرقام في الترميز، فالحرف الأصل لا يحمل رقما، أما الحرف الفرع فيحمل في تنوعه الأول رقم (1)، ورقم (2) في تنوعه الثاني، ورقم (3) في تنوعه الثالث، وهكذا، نحو الألف الممالة إمالة خفيفة أ1، والممالة إمالة متوسطة أ2، والممالة إمالة شديدة أ3.

جدول رقم (1)

اسم الحرف	رسم الأصل	الصوت الفرع	الرمز1	الرمز2	الرمز3	الرمز 4
النون	ن	نون خفيفة	ن1			
الهمزة	أ	الهمزة بين بين	أ1			
الألف	ا	الألف التي تمال أمالة شديدة			أ3	
الشين	ش	الشين التي كالجيم	ش1			
الصاد	ص	الصاد التي كالزاي	ص1			

مقترح الترميز الثاني

رسم حرف صغير يبين حقيقة تحول الصوت الأصل إليه أو حقيقة أخذ مخرجه أو صفته، فمثلا الجيم التي كالكاف تكتب جك، ونتبين هذا في الجدول (2):

جدول رقم (2)

اسم الحرف	رسم الأصل	الفرع	الرمز1	الرمز2	الرمز3
النون	ن	نون خفيفة	نن		
الهمزة	أ	الهمزة بين بين	أأ		
الألف	ا	الألف التي تمال أمالة شديدة	أي		
		ألف التفخيم [1]	أو		
الشين	ش	الشين التي كالجيم	شج		
الصاد	ص	الصاد التي كالزاي	صز		

---

(1) لأن الألف مفخمة وامالتها نحو الواو نرسم واوا صغيرة بجانبها.

ترميز الحروف المستقبحة

الحرف الأصل	الرمز	الحرف الفرع	الرمز
الكاف	ك	الكاف التي بين الجيم والكاف	ك1
الجيم	ج	الجيم التي كالكاف	ج1
		الجيم التي كالشين	ج2
ضاد	ض	الضاد الضعيفة	ض1
الصاد	ص	الصاد التي كالسين	ص1
الطاء	ط	الطاء التي كالتاء	ط1
الظاء	ظ	الظاء التي كالثاء	ظ1
الباء	ب	الباء التي كالفاء	ب1

الحرف الأصل	الرمز	الحرف الفرع	الرمز
الكاف	ك	الكاف التي بين الجيم والكاف	$ك^{ج}$
الجيم	ج	الجيم التي كالكاف	$ج^{ك}$
		الجيم التي كالشين	$ج^{ش}$
ضاد	ض	الضاد الضعيفة	$ض^{ض}$
الصاد	ص	الصاد التي كالسين	$ص^{س}$
الطاء	ط	الطاء التي كالتاء	$ط^{ت}$
الظاء	ظ	الظاء التي كالثاء	$ظ^{ث}$
الباء	ب	الباء التي كالفاء	$ب^{ف}$

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

ويمكننا تطبيق هذا على ظواهر الأداء الصوتي التي لم تنل حظها من الترميز، نحو: الاختلاس، والاشباع والقلب وغيرها.

المبحث الثاني

الأداء الصوتي

تكمن في كل لغة قدرات وإمكانات تتوزع قيمتها بين العادي والمبدع القيم، ومن البديهي أن النص العادي الذي نهاية غايته الإفهام يسخر الإمكانات اللغوية العادية، ولا يكترث بالقيم الإبداعية والإمكانات الفذة للغة إلا عرضا، أما النص المبدع فلابد من ناظمه أن يستنفر ما عرف من إمكانات لغوية (صوتية وصرفية ونحوية ونكات بلاغية) ليخرج بنص غايته الإفهام والتأثير.

والتناسب طردي بين إمكانات اللغة والإبداع اللغوي، فكلما زاد الكاتب– سواء أكان شاعرا أم ناظما– من تسخير إمكانات اللغة زاد النص إبداعا، ولا ريب أن استعمال هذه الإمكانات تعود إلى ما يملكه الكاتب من إدراك للغة.

فالكلام اللغوي البديع يتسامى بقدرة الناظم، ويمكن أن نعد ما ذكرناه معيارا للإبداع، ولنا أن نتساءل ما الحكم على كلام الله في الإبداع والإعجاز فهو من الله المبدع المعجز، فاطر كل شيء ومبدعه، إن قراءة القرآن ليست كأي قراءة، ولا يشبهها نثر ولا نظم[1]، ويرافق إبداع النظم إبداع النطق، فجمال النص المبدع يكتمل بحسن النطق ؛ لذا قال رب العزة (ورتل القرآن ترتيلا)، وفي بحثنا هذا نحاول تحديد أيقونات الجمال الصوتي في القرآن الكريم، ومن ثم تبويبها، ولكي ندرس الجمال الصوتي في القرآن الكريم لابد لنا من أن ننطلق من علم الجمال الصوتي، الذي يصطلح عليه الأستاذ بخاطره الشافعي بـ(فنون القول عند العرب)[2]، وقد اعتمد الأستاذ الدكتور محمد صالح الضالع أستاذ علوم الصوتيات تقسيم تروبتسكوى لعلم الجمال الصوتي، الذي هو:

1- أسلوبية علم الصوتيات: وهو القسم الذي يعنى بأسلوبية التعبير وأسلوبية القول.

2- أسلوبية الفونولوجيا: وهو القسم الذي يدرس نظام الأصوات عرضا، وتشكيلا مع ربطها بالنواحي التعبيرية والايحائية والتأثيرية المرتبطة باللغة[3].

ويمكننا أن نعتمد هذا التقسيم لدراسة الجمال الصوتي للعبارة القرآنية؛ ذلك لأنه يحيط بإبداع النص تركيبا ونطقا، فنتلمس به مواطن الجمال الصوتي، وفي خلال إدراك صفات الأصوات وجمالها، وأثر بعضها في بعض في خلال علم الصوت والصرف، فيمكننا التعرف على مواطن إنتاج الأصوات وأدائها وأثر هذا الأداء في إبراز جمالها، فنحن لا بد لنا من أن نفرق بين العمل الفني في ذاته، بعده نصا لغويا جميلا وبين أدائه أو إلقائه أو تمثيله، أي تقديمه بصورة أكثر تعبيرا وأكثر إبرازا لطاقة النص وإمكانياته[4].

وأداء الأصوات في العبارة القرآنية محكومة بقواعد وأصول منصوص عليها بأحكام التجويد، فإن استطاع الغربيون تنظير الجمال الصوتي في الأداء، مع براعة استخدام النظام اللغوي الصرفي والصوتي فقد طبق العرب هذا التنظير، بل حكم الأداء بقوانين تعين المؤدي على النطق، مع محاولة العلماء النظر إلى الأداء غير المحكوم بقانون، وهو ما يعرف بالتنغيم الذي قيد بعلامات قد تكون قاصرة عن الإبانة عن حقيقة الموقف اللغوي، نحو إلباس الجملة الاسمية دلالة التعجب وللإفصاح عن هذا التعجب وضع علماؤنا علامة (!) فإذا قلنا: محمد عالم ا، فهذا يعني التعجب من الخبر، أما إذا اردت السؤال فتضع علامة (؟)، وهكذا، وهذا ليس موضع بحثنا، الذي يعنينا هو الأداء المحكوم بقانون، أي الأداء المصطلح عليه بـ (أصول التلاوة، أو أصول التجويد).

وقد تنبه العلماء إلى أهمية الأداء للنص القرآني، فابتدعوا الإجازة التي تمنح للمقرئ بعد تدريبه على الأداء الصوتي القرآني، فالعرب يتناقلون الأداء الصوتي القرآني بأمانة، فلا يحق البتة للمتمكن أو المتخصص من منح إجازة الأداء إلى من يرغب بها إلا بعد أخذها ممن ملكها.

---

(1) الصوت اللغوي ودلالته 8.

(2) ينظر: الأسلوبية الصوتية 16.

(3) ينظر: المصدر نفسه 17.

(4) الأسلوبية الصوتية 18.

والفن اللغوي الذي يتخذ مادته من الملفوظات القولية يقوم جماليا بوظيفتين:

1- وظيفة اللغة العادية، وتقوم بها الكلمات المألوفة في الجمل المألوفة، وفي هذه الحالة تصدر المعاني من خلالها وليس منها ذاتها، أي ليس من مادتها الصوتية فالأصوات في اللغة غير الفنية لا تحمل معنى.

2- وظيفة اللغة الفنية، وتقوم بها الكلمات أو الألفاظ (الملفوظات) عندما تكون مرصوفة ومرصوصة في تراكيب وجمل شعرية أو نثرية متناغمة في سياق مخصوص توحي إلينا بأحاسيس ومشاعر ونشعر بها في طريق يختلف عما تدل عليه الكلمات والجمل، نعني بذلك طريقة نطق الألفاظ وأصواتها ذاتها، وتتآزر الوظيفتان في تقديم المعنى الشامل والفكر السائد في العمل الفني لأنه غايته هي أن يعرض صورا وتصدير أخيلة لا أن يقوم بمجرد الإشارة.

فعلينا إذن التفريق بين اللغة الفنية التي تهدف إلى الإمتاع الصوتي التلفظي والدلالي (المعاني والصور) معا وبين اللغة غير الفنية التي تهدف إلى الإيصال والاتصال العادي ومن الأدلة على ذلك، أننا نستعذب قراءة قصيدة ما ونطرب لإنشادها ونتلذذ بغنائها مهما تكرر ذلك، بل أننا لا نمل من الاستماع إلى آي الذكر الحكيم، فتختلج النفس البشرية في كل مرة عند الاستماع المشاعر نفسها، فتثار مكامن الشعور بألوانه وأطيافه الحزينة أو المفرحة وتتيقظ في ردهات الروح الأمل والرجاء، وهذا من إعجاز القرآن الكامن بعضه في الأصوات المتآلفة المتناسقة، ونحن نمج تكرار خبر ما في مجلة أو مقال في جريدة، لأن الغاية فيه إيصال الفكر، وعمل اللفظ فيه عمل دلالي خالص.

نخلص مما سبق أن النص المبدع يقوم على:

1- صحة انتظامه لقواعد اللغة النحوية والصرفية والصوتية.

2- تناسب أصوات الألفاظ وحسن اختيارها للمعنى المطلوب.

3- الأداء أي طريقة نطق الكلمات والجمل، و مراعاة ضوابط الأداء وأحكامه، ولنتلمس وجوه الجمال الصوتي في القرآن الكريم سنقف على تناسب الأصوات في النص القرآني وعلى أحكام الأداء القرآني.

تناسب الأصوات وحسن انتظامها في العبارة القرآنية

على الرغم من أن القول في نشأة اللغة من الموضوعات الغيبية استطاع القدماء والمحدثون أن يضعوا نظريات قد نعدها قريبة من الواقع، لما ساقوه من أدلة وبراهين قريبة من الواقع ، ومن هذه النظريات نظرية التوقيف كما اطلق عليها القدماء[1] يصطلح عليها المحدثون بنظرية الوحي والإلهام الإلهي[2]، وكان جمال النص القرآني وسحر اللغة العربية هي الأساس في وضع هذه النظرية، فاللغة عندهم في أصل نشأتها يرجع إلى مصدر الهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء[3]، ومن الأدلة النقلية على هذه النظرية قوله تعالى وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا البقرة 31، وما ورد في الكتاب المقدس (والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»[4].

---

[1] ينظر: الصاحبي 31.

[2] ينظر: التطور اللغوي التاريخي 19.

[3] ينظر: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل 25، وعلم اللغة، وافي،97، والبحث اللغوي عند الهنود 99.

[4] ينظر: نشأة اللغة عند الانسان والطفل 26.

ومن هذه النظرية نستطيع أن نقول إن العلاقة بين الصوت والمعنى علاقة توقيفية من الله سبحانه وتعالى ، فالألفاظ موضوعة بإزاء المعاني[1]، وواضعها فاطر الكون، ولما كان الله سبحانه وتعالى هو الواضع وهو الذي ناسب بين الصوت والمعنى تبين لنا بشكل جلي سبب تناسب أصوات العبارة القرآنية، مع معانيها، فالمبدع هو الله سبحانه هو الواضع للغة والقرآن من قوله، إذن مهما حاولنا تلمس مواضع الإبداع والقول فيه ، والتفصيل في مساربه تبقى أفكارنا قاصرة عن الوصول إلى كنهه، أما نظرية الوضع والاصطلاح التي ترى أن اللغة مستحدثة بالتواضع على ألفاظها وهي متفق عليها مرتجلة[2]، فإذا كان الإنسان قد وضع اللفظ بصورته إزاء المعنى فلا بد من أنه تحسس دلالة الصوت على معنى الكلمة وإذا كان البشر هم من وضع الألفاظ فاللغة هنا من صنعهم ومن حسهم وإدراكهم وهذا أكيد لا يكون إلا بعد أن زرع الله فيهم هذه القدرة ، فإذا كان صاحب القدرة هو الناظم، فكيف يكون النظم، فالعبارة القرآنية تحمل من تناسب الأصوات ما لا نستطيع أن نحده بمقدار، فمعيار القدرة بيد القادر، فكيف للعبد أن يطلق الحكم وهو أداة مخلوقة.

ومن نظريات اللغة أيضا محاكاة أصوات الطبيعة، فاللغة كانت نتيجة لتقاليد الإنسان لأصوات الطبيعة، فالإنسان قلد صوت الريح والرعد والمياه وغيره[3]، وفي خلال هذه النظرية نستطيع أن نعرف أن تناسب الأصوات في العبارة، واحتمال اللفظ بأصوات دلالات طبيعية أمر طبيعي، وقد عرجنا على نظريات اللغة لنسوقها آية على أن الأصوات في العبارة المبدعة ظلال معان تتفتق وتسمو بالعبارة عند الأداء الصوتي لها.

الرمزية الصوتية في القرآن

ونعني بالرمزية الصوتية «الدلالة الكامنة في بعض أصوات اللغة، وفي بعض التراكيب الصوتية، وفي بعض الكلمات المحكية، إذ يرتبط فيها اللفظ بالمعنى، وتدل عليه عمليات النطق والإصدار (التلفظ) فيها على دلالة الوحدة اللغوية صوتا، كان أو كلمة»[4]، وقد تكون العلاقة بين الكلمة وأصواتها في لغة الإفهام علاقة اعتباطية، أما في النص الأدبي فإننا نجدها علاقة توافق يمتزج فيها المعنى والصوت ليرسم لنا صورة إبداعية تتجلى عند التصويت بالسلسلة النطقية للنص الأدبي، فـ «ينصهر الشكل مع المضمون واللفظ مع المعنى والصوت مع الدلالة»[5]، وقد توصل علماء النفس إلى أن لصوت الألفاظ أثرا نفسيا في السامع[6]، وقد تصنع الأصوات معنى الكلمة[7]، تستثار الإيحاءات الصوتية بطرق عدة، منها:

1- حسن تأليف المفردة، فالأصوات لبنة الكلمة، ويعد حسن تأليفها معيارا تعرض عليه اللفظة للحكم عليها بالجودة أو الرداءة، ومخرج الصوت وصفته ثابت، ينطلق منه أكثر اللغويين والنقاد للحكم على صحة التأليف وحسنه أو خلاف ذلك، فالأصوات تتباين أصداءها بتباين مخارجها، وأصوات الكلمات لا تتشاكل وتتضام اعتباطا، بل تخضع لقوانين صوتية لا بد من تحريها، ويعد الخليل رائدا في التنبيه على هذا القوانين، التي منها:

---

(1) ينظر: الخصائص 1/ 41.

(2) ينظر: الخصائص 1/ 40 – 41 ونشأة اللغة عند الانسان والطفل 27.

(3) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل 34-35.

(4) الأسلوبية الصوتية 22.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) ينظر نفسه 23.

(7) ينظر: علم الدلالة 77.

أ- إن جل بناء الرباعي والخماسي لا يعرى «من واحد أو أكثر من حروف الذلاقة الستة»[1]، المنصوص عليها بـ (فر من لب)، فان خلا البناء من أحد أحرف الذلاقة لم يخل من «الغين أو القاف أو السين أو الدال»[2]، وهي أصوات الطلاقة.

ب- ومن قوانين النسج الصوتي التي اهتدى إليها الخليل عدم ائتلاف حروف الحلق مع بعضها دون فاصل، فلا تجتمع العين مع الحاء إلا في الكلمات المنحوتة نحو الحيعلة، ولا تأتي العين بعد الهاء عند الخليل إلا بفصل لازم[3]، وتمتاز مقاييس النسج الصوتي للكلمة العربية التي اهتدى إليها الخليل بالثبات النسبي فلم يؤثر تطاول الزمن فيها.

ج- مخرج الحرف، لابن جني وقفة تحليلية طويلة يذكر فيها أثر مخرج الصوت في تأليف المفردة، ثم يخلص إلى «أن الحروف في التأليف على ثلاثة أضرب، (أحدها): تأليف المتباعدة، وهو الأحسن، و(الآخر): تضعيف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحسن، و(الآخر) تأليف المتجاورة وهو دون الاثنين الأولين، فإما رفض البتة وإما قل استعماله»[4]. وما قاله ابن جني نراه يتردد في مصنفات من عاصروه نحو: ابن فارس[5]، ومن جاؤوا بعده نحو ابن سنان الخفاجي[6] والسيوطي[7]، أما ابن الأثير فقد خالف الجمع، فقال: ولو كان مخارج الحروف معتبرا في الحسن لما تغيرت هذه اللفظة في ملع وعلم[8]، وقد ذهب بعض المحدثين مذهب ابن الأثير فقال: إن «مخارج الأصوات نفسها لا تلعب دورا مهما في اللغة وتقدم نفسها لتفسير أكثر دقة لها، بل إن ذلك الدور تلعبه ظواهر متمازجة معينة أخرى لفاعلية أجهزة الكلام»[9] وتجد الباحثة أن القول قول ابن جني ومن وافقه، لأن تفاوت الأصوات في القوة والمخرج ينتج عنه تفاوت في التأليف، وهذا التفاوت لابد من أن يقع تحت طائلة النقد. فـ(الحسن) في تأليفه هو: ما تباعد مخارجه، و(القبيح) ما تجاورت مخارج أصواته، يقول أبو الفتح: «وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا، وإن تجشموا ذلك بدأوا بالأقوى من الحرفين، وذلك نحو (أرل) و(ورل) و(وتد) و(محتد)، فبدؤوا بالراء قبل اللام، وبالتاء قبل الدال، لأنهما أقوى منهما. ويدلك على قوة الراء والتاء على اللام والدال، أنك إذا ذقتهما ساكنتين، ووقفت عليهما، وجدت الصوت ينقطع عند التاء بجرس قوي، ووجدته ينقطع عند الدال بجرس خفي، وذلك قولك (إت) (إد) وكذلك الراء واللام، فإذا وقفت على الراء وجدت الصوت هناك مكررا، ولذلك اعتدت في الإمالة بحرفين، وإذا وقفت على اللام وجدت في الصوت لينا وغنة، وذلك قولك (إر) (إل) ويؤكد عندك قوة الراء على اللام، أنك لا تكاد تجد اللام معتاصة على أحد، وكثرة ما تجد الراء متعذرة على كثير من الناس، لاسيما الأرت[10] حتى إنك لا تستبينها في كلامه»[11].

---

(1) النقد اللغوي عند العرب 196.

(2) ينظر: العين 1/ 53 – 54.

(3) ينظر: العين 1/ 105.

(4) سر صناعة الإعراب 2/ 816.

(5) ينظر: الصاحبي 82.

(6) ينظر: سر الفصاحة 48.

(7) ينظر: المزهر 153/1.

(8) ينظر: المثل السائر 160/1.

(9) أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب 43.

(10) الذي في لسانه عقدة وحبسة.

(11) سر صناعة الإعراب 2 / 814، وينظر: 1،819،45/816، والخصائص 57،63/1.

نخلص من النص السابق إلى أن تحقيق شرط تقدم الحرف الأقوى ضروري في قبول الألفاظ التي تقاربت مخارجها. وهذا قانون يحتاج إلى إحصاء للألفاظ المتقاربة المخارج، ومن ثم الموازنة بين قوة حروفها وضعفها، وفي ضوء النتائج يمكننا تبني قول ابن جني أو رفضه.

2-استعمال كلمة موحية صوتيا، نحو الكلمات الخاصة بالأصوات، مثل حفيف، صغير رنين دندن[1].

3-الأصوات المفردة التي تدل بذاتها عند التصويت بها على دلالة تزيد عن الدلالة المعجمية، أو يعطي الصوت تفريقا دلاليا بين كلمة وأخرى تجتمع على معنى عام نحو قضم وخضم، فالمعنى العام هو القضم بالأسنان ولكن أعطى القاف معنى أخص وهو قضم المواد الصلبة، أما الخضم فتدل على قضم الأشياء اللينة الرخوة نحو الخيار، فالألفاظ تتناسب أصواتها مع المعاني الحسية المادية التي تحملها، فالقاف وما يحمل من شدة ينتظم الكلمات التي تدل على القسوة، أما الخاء وما يحمل من صفة الرخاوة تدل على الرخاوة واللين، وقد عالج ابن جني هذا في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و(امساس الألفاظ أشباه المعاني) فالصوت له علاقة بالمعنى عنده، ونتبين هذا بقوله: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها»[2]، والتفريق في دلالة الأصوات نجده في لفظتي (أز) و (هز).

4-ويفرق أبو الفتح أيضا بين قوة معنى الفعل وضعفه، متخذا مقدار مشقة الأداء أساس التفريق، والمشقة قد تكون معنوية نفسية أو جسدية عضلية، وهذا ما نلحظه في التفريق بين لفظتي (أز) و(هز)، قال تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** [3]: «أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى (تهزهم هزا) و(الهمزة) أخت (الهاء) فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك»[4]، فـ(أز الشيء أزا) أقلقه، و(أزت القدر، تؤز وتئز أزا وأزيزا و أزازا و ائتزت ائتزازا): إذا اشتد غليانها، وقيل[5]: هو غليان ليس بالشديد، و(الأزيز) الالتهاب والحركة، كالتهاب النار في الحطب، يقال: (أز قدرك) أي: ألهب النار تحتها، و(الأزة) الصوت، و(الأزيز): صوت الرعد من بعيد[6]، إذن المعنى العام لـ(أز) يتوزع بين الصوت والغليان والحركة، أما (هز) فيعني: تحريك الشيء، كما تهز القناة فتضطرب و تهتز، وفي التنزيل العزيز: **وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ** [7] أي حركي، والعرب تقول هزه، إذا حركه[8]، فالدلالة إذن حسية تدرك بالحواس، والهز يكون في الأجسام، وهذا أسهل من هز الأنفس وتحريكها بوساوسها، بدليل أن الشيطان غير قادر على هز نفس المؤمن، بل هو يؤز ويهز من «كان في قلبه تحير وفي نفسه غائلة وجوارحه منقبضة»[9]، لذا جاء الاستعمال القرآني بلفظة (أز) بدل (هز)، وذلك لقوة معنى (أز) المتأتية عند ابن جني من الهمزة الثقيلة الشديدة، ويمكننا القول: إن في (أز) تلون دلالي متأت من المعنى العام الذي تحمله من الحركة

[1] الأسلوبية الصوتية 24.
[2] الخصائص: 157/2.
[3] مريم 83.
[4] الخصائص: 146/2.
[5] ينظر: كتاب الأفعال:1/ 54-55، ولسان العرب (أزز).
[6] ينظر: لسان العرب (أزز).
[7] مريم 25.
[8] ينظر: لسان العرب (هزز).
[9] الأمثال من الكتاب والسنة 249/1.

والاضطراب والغليان والصوت، فالشيطان يوسوس بصوته فيضطرب الكافر ويغلي، ومن ثم يبدأ بالحركة والتصرف المخالف لسمت الإسلام، لذا جاء اختيار (أز)، أما هز فلا تحمل سوى دلالة الحركة.

وترى الباحثة أن لا علاقة لصفة الهاء في تحديد المعنى، لأنها من حروف الهمس و(الصوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة في إخراج النفس أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة) [1]، ففي نطق الهاء جهد للجهاز النطقي، لأن الصوامت المهموسة (يكون حبس الهواء فيها أشد إحكاما منه في حالة الانفجارية المجهورة)[2] فالهاء لا يختلف في الشدة عن الهمزة، يقول الدكتور حسام النعيمي: «إن الصامت المهموس هذا هو حرف شديد، أو كما عبر عنه المحدثون انفجاري»[3]. إذن لا علاقة لصفة الصوت في اختيار لفظة (أز) في الجملة القرآنية، بل الاختيار قائم على أساس الفرق الدلالي، ونستطيع أن نرجع فرق دلالة لفظة (أز) القوية المنفردة عن سياق الجملة عن (هز)، إلى جرس (الهمزة) القوي الواضح، الذي قابله جرس (الهاء) الخفي الضعيف.

أحكام الأداء القرآني

للأداء دور في إبراز جمال النص المبدع، وقد طفق العلم الحديث يدرس أهمية الأداء في اللغة، أما علماؤنا القدماء فقد تنبهوا إلى هذا، بل أن علماء التجويد قننوا لهذه الظاهرة، وعلة هذا الاهتمام هو القرآن الكريم، فتلاوته أثر يهرع عليه الأولون والآخرون، لذا وضعوا قواعد التجويد وتحدثوا عن الأصوات وظواهرها من القلقة والإمالة والاختلاس وغيرها من الظواهر، ولتحري الصحة في النطق علينا مجانبة عيوبه، التي نستطيع أن نجملها بـ:

1- العيوب الفسلجية
2- العيوب النفسية
3- العيوب اللغوية (النحوية، الصرفية، الصوتية)

العيوب الفسلجية، ونقصد بها العيوب الخلقية الناتجة عن تشوه الجهاز النطقي للإنسان، فالزوائد اللحمية، وعيوب الأسنان، وعيوب الأوتار الصوتية وغيرها من التشوهات الخلقية تؤدي إلى تعطيل أو تعثر عمل الجهاز النطقي في إنتاج الصوت بالشكل الصحيح، فقد نسمع اللثغة والتعتعة والفأفأة بسبب هذا العيب، وقد يكون العلاج طبيا في هذه الحالات.

العيوب النفسية كتحريك الرأس عن يمين وشمال، أو تحريكه لزعزعةٍ من سفلٍ إلى علو أو بالعكس، والالتفاف، وعبوس الوجه وتقطيبه، وتصغير العينين وغيرها[4]، وهذه العيوب تشغل السامع عن النص المنطوق، وتصرفه بعض الصرف إن لم يكن كله عن الاستماع بل قد تثير في النفس مشاعر الملل والامتعاض.

العيوب اللغوية: وهي من البديهي أن تكون على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: النحو، وهو الخطأ الذي يقع في أواخر الكلم، أي الخروج عن القاعدة النحوية الصحيحة، وقد نص عليه علماء التجويد باللحن الجلي الذي هو لحن الإعراب- كما يقول ابن مجاهد-[5]، وهو: «أن ترفع المنصوب، أو تنصب

(1) علم اللغة، للدكتور محمود السعران 164.

(2) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(3) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني 349.

(4) ينظر: بيان العيوب، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 31- ج1 شوال 1407هـ/ يونيو 1987 م، ص 30.

(5) ينظر: السبعة في القراءات 49، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي 260، التحديد في الإتقان والتجويد 118.

المرفوع، أو تخفض المنصوب والمرفوع، أو ما أشبه ذلك، فاللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم»[1]، وقد نقل الداني عن أحمد بن نصر أنه قال: «سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه»[2]، فالخفي بعكس الجلي «لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الأستاذين، المودي عنهم، المعطي كل حرف حقه، غير زائدٍ فيه، ولا ناقص منه ...»[3].

المستوى الصرفي، فالنطق بالبناء على الوجه غير الصحيح من أوهام الأداء، كذلك العناية بالحركة والتفريق بين موضعها الصحيح والفصيح ضرورة يجب أن يدركها القارئ كالعادات اللهجية في لهجات بعض القبائل، أو ما يسمى باختلاف لغات العرب، نحو:

1. الاختلاف في الحركات، كقولنا (نَستعين) و(نِستعين) بفتح النون وكسرها، فالأولى لغة قريش، والثانية لغةُ غيرهم.
2. الاختلاف في الحركة والسكون، مثل قولهم: (مَعَكُم) و (مَعْكُم).
3. الاختلاف في الحرف الساكِن يستقبله مثلهُ، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم، فيقولون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: من الآية16] و(اشترَوُا الضلالة).
4. الاختلاف في الزيادة، نحو: (أَنْظُرُ) و(أَنْظُورُ)[4].

أما المستوى الصوتي

فيتناول طريقة نطق الكلمة ونوع الصوت وطريقة النطق، ومن عيوب الأصوات الجهر الصاعق والغض الزاهق ، واستكداد الصوت حتى ينقطع، ونقله من حال إلى حال في تباعد الانتقال[5].

أما ما يتعلق بالمصوتات فيجب الحذر من السرعة في الساكن حتى يصير متحركاً، ومن زيادة الممدود حتى يخرجه عن حدهِ[6]، فاللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه»[7]، فالخفي بعكس الجلي«لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط ...»[8]، وقد تشدق الغربيون حين ادعوا أن علم الجمال الصوتي علم حديث جاء نتيجة للتطور في الوسائل التكنلوجية البحثية، ولم يعلموا أن لعلمائنا باعا طويلا فيه، فطالعتنا مصنفاتهم بالكثير من أحكام الأداء وقواعد التجويد، واهتمام العلماء كان نتيجة حتمية لخدمة القرآن الكريم، فتناقل السلف الأحكام شفاها، ثم قيدت في كتبهم، فظهرت المصنفات التي تعنى بهذا العلم في القرن الخامس الهجري، فألف أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي كتاب: (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)، ثم جاءت المصنفات تترى فمنهم من أفرد المصنف بهذا الموضوع، كهاشم بن أحمد بن

---

(1) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي 260، وينظر: جهد المقل 85.

(2) التحديد في الإتقان والتجويد 118، وينظر: منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق. علم الدين السخاوي، مجلة المورد. مج17- ع4 - السنة 1988م، ص 334.

(3) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي 260، وينظر: جهد المقل 85.

(4) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها 28- 30.

(5) ينظر: المصدر نفسه 31.

(6) ينظر: المصدر نفسه 32.

(7) التحديد في الإتقان والتجويد 118، وينظر: منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق: علم الدين السخاوي، مجلة المورد. مج17 -ع4 - السنة 1988م، ص 334.

(8) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي 260، وينظر: جهد المقل 85.

عبد الواحد الحلبي (577 هـ) وكتابه (وسيلة الحفي إلى إيضاح اللحن الخفي)[71]، وعبد العزيز بن أحمد الديريني (697هـ) وكتابه (ميزان الوفي في معرفة اللحن الخفي)[72].

ومنهم من أفرد مبحثا في مصنفهً، نحو القرطبي وكتابه الموضح في التجويد[73]، وأحمد بن أبي عمر الأندرابي في كتاب الإيضاح في القراءات[74]، وأبو العلاء العطار وكتابه التمهيد في معرفة التجويد[75]، وابن الجزري في كتاب التمهيد في علم التجويد[76]، ومحمد بن أبي بكر المرعشي وكتابه جهد المقل [78].

من مصطلحات الأداء

يمكننا توزيع مصطلحات الأداء القرآني على كيفية أداء الحروف والحركات،

1- فمن مصطلحات الأداء المتعلقة بالحركات

الاشباع، الاختلاسٍ التوهين، قال عبد الوهاب القرطبي: «والذي يخص هذا الباب التنبيه على كيفية أداء ذلك واللفظ، فنقول إن الذي ينبغي أن يعتمده القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخرج واواً، ولا الكسرة بحيث تتحول ياءًا، فيكون واضعاً للحرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ، فيضعف الصوت عن تأديتها، ويتلاشى النطق بها، وتتحول سكوناً»[79]، وقال ابن الطحان في (باب تصنيف الحركات وتحرير مقاديرها المعلومات): «الأصل في الحركات الثلاث الفتحة، والضمة والكسرة، إكمال أوزانها، بإجماعٍ من الأئمة، ولا سبيل إلى نقصِ أوزانها إلا بأداءٍ موصولٍ، ولفظٍ منقولٍ، وذلك مقتضى حكمةِ الترتيل المأمور بهِ في التنزيل... فالتزم أيها القارئ مسدداً، استعمال الأصل أبداً، فإنك إن نقصت الحركة فيما انعقد عليه الإجماع كنت لاحناً لشذوذك عن جماعةٍ، وإن نقصتها فيما فيه الخطف، وليس النقص عند قارئك الذي تقرأ له خالفته؛ لأنه ليس من روايته»[80]. وهذا ما ذهب إليه المرادي[1].

وقد نبه علماء التجويد على عدم مجاوزة المد لمقداره أو النقصان عنه، قال أبو الحسن السعيدي: «ومما يحفظ أيضاً ترعيد المدات في مثل قوله: وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ [البقرة: من الآية 4] قَالُوٓاْ ءَامَنَّا [البقرة: من الآية14] إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ [النساء: من الآية163]... وما أشبه هذه الحروف، تمد مداً حسناً مستوياً مستقيماً، بلا ترعيدٍ، ولا تهزيرٍ[2]، ولا اضطرابٍ عند إخراجهن»[3].

---

[71] ينظر: الجامع المفيد في صناعة التجويد.جعفر بن إبراهيم السنهوري 83 ونقلاً عن كتاب أبحاث في علم التجويد 174.

[72] ينظر: هدية العارفين، البغدادي 580/1، أبحاث في علم التجويد 174.

[73] ينظر:55،76.

[74] ينظر: 298-309 وقد حققه ونشره الأستاذ حقي عبد الرزاق الصالحي في مجلة المورد مج 30 ع2 ص91، 1423هـ/2002م،

[75] ينظر: 237-244.

[76] ينظر: 75-78.

[78] ينظر: 85 –87.

[79] الموضح في التجويد 191.

[80] الإنباء في تجويد القرآن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع 61، السنة 25تموز 2001م ص222.

[81] شرح الواضحة في تجويد الفاتحة 66.

[82] هزره: ضربه، والهزر: الغمز الشديد، لسان العرب، مادة (هزر).

[83] التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي 282.

[84] الموضح في التجويد 132.

إذن من أهم قوانين أداء الحركات القصيرة والطويلة:

1- هو استغراق الزمن الحقيقي لها، وأداؤها بالبعد الزمني المقرر لها، فالزيادة عن أصل الزمن المستغرق يحيل الحركة القصيرة إلى حركة طويلة، وهذا إخلال حقيقي باللغة ومعانيها، وهو مكروه، يقول القرطبي «وإن إهمال الإشباع يخرجها عن كونها حرفاً، ويلحقها بالحركة، والإفراطُ في التمكين يلحقها بالممدود، وكلاهما مكروهٌ»[4] وقال أبو جعفر بن الباذش (540هـ): «ولا خلاف في تمكين حروف المد واللين، وإن لم يلقهن شيءٌ مما ذكرنا، تمكيناً وسطاً، من غير إشباعٍ ولا زيادة، نحو: (قال، وقولوا، وقِيل، وتاب، ويتوب). وشبهه»[5]، وقوله: (وإن لم يلقهن شيءٌ مما ذكرنا)، يعني: الهمزة والسكون.

2- توالي الحركات، فعلينا هنا أن نساوي في المدد الزمنية المستغرقة في التأدية، قال القرطبي: «وإذا توالت الحركات في مثل لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ [الأنبياء: من الآية22]، قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ [التوبة: من الآية 99]، قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ [غافر: من الآية50]، مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ [الأعراف: من الآية 101] وما أشبه ذلك، من قليل التوالي وكثيره، ينبغي أن يتعمل للتسوية بينهن، بحيث لا تنفرد إحداهن بإشباع وتمطيط، والأخرى باختلاسٍ وتوهين؛ لأنَّ ذلك يظهر ويبين أكثر من بيانه وظهورِه فيما إذا لم تتوال الحركات»[1].

3- اجتماع حرفي المد، «فإن التقت ياءان أو واوان لم يخل التقاؤهما من أمرين: أحدهما أن تلتقيا وأولاهما ساكنة، وثانيهما أن تلتقيا متحركتين، فإن التقت ياءان أولاهما ساكنة وجب إشباع الكسرة التي قبل الأولى، وذلك نحو قوله: تُؤۡتُونَهُنَّ [النساء: من الآية127]، لِّلسَّآئِلِينَ [يوسف: من الآية 7]، وترى الباحثة أن الإشباع في هذا الموضع نوع من أنواع نبر الطول، الذي يكون غرض التيسير والسهولة، وهذا ما نلحظه بشكل جلي في التقطيع الصوتي ل(في يوسف).

/ف ___ / ي ___ / س___ف /

مد الحركة الطويلة للمقطع الطويل الأول المفتوح، أي نبره، المقطع الثاني يبدأ بياء محتثة الزمن النطقي فيها يساوي الزمن المستغرق لنطق بحرف صامت.

4- من قوانين أداء الحركات وجوب خلو النطق بهن من الغنة، قال محمد بن أبي بكر المرعشي: «وليحذر عن ... إعطاء الغنة لغير حروفها، ما يفعل بعض الناس في الياء المدية والواو المدية في مثل: نستعين، وطس، ويستهزئون، تبعاً لغنة النون»[2].

ونتيجة لتفاعل الأصوات مع بعضها في السلسلة الكلامية،تنتج ظواهر صوتية نحو الإمالة نحو الياء في الألف، وتفخيم الألف وهو إمالتها نحو الواو، كذلك للهمزة شروط وأوضاع معقدة،التي يمكن اختصار ما اسهبه العلماء فيها، في أدائها بالتخفيف أو النطق بها بين بين،أو قلبها أو حذفها، وكل هذا ضمن قوانين صوتية وصرفية معلومة.

---

(85) الإقناع في القراءات السبع 468/1.

(86) الموضح في التجويد 205.

(87) جهد المقل 278، وينظر: 285 .

ومن قوانين الأداء أحكام النون الساكنة والتنوين، وفيها يتم قلب النون إلى أحد الحروف المنصوص عليها في لفظة (يرملون)، ثم ادغامه فيه، وترى الباحثة أن هذا نوع من التخفيف، والتخلص من الصويت الذي يرافق الصوت الأصلي المنطوق ففي قولنا مثلا (من ربهم) يكون الأداء فيها (مرّبهم).

/م ـــــ ن/ ر ـــ / ب ـــ / هـــم/

/مـــــ ر / ر ـــ /

المقطعان متساويان من حيث القيمة الصوتية، الا أنه أبدل بنبر الادغام، الذي به تم التخلص من المزلق الصوتي المصاحب لنطق الأصوات المنفردة.

وللراء أحكام خاصة كما للميم واللام ولبقية الحروف، وأرى من الضروري إعادة النظر بها ودراستها على وفق الدرس الصوتي الحديث.

الخاتمة

يمكننا أن نجمل أهم النتائج بما يأتي:

1- الصوت وقيمته يعود إلى طبيعة الجهاز النطقي للقارئ، لذا نستسيغ قراءة قارئ ما لجمال صوته وعلوه المناسب وخلافه صحيح.

2- الذي ذكره القدماء لا يختلف البتة عما وصل إليه المحدثون بأجهزتهم الصوتية الحديثة.

3- عب الله الجهاز النطقي قدرة على انتاج أصوات لا حصر لها، والجماعة اللغوية لا تستعمل الا النزر اليسير من هذه القدرة .

4- ما استهجن من أصوات، واستقبح حدثها الصوتي، وترك الأخذ بها في التنزيل العزيز، فهي في الغالب ليست بأصوات حقيقية بقدر كونها عيوبا نطقية، تعود إلى أسباب خلقية أو نفسية، جاء حصرها وتسجيل أحداثها نتيجة لحرص اللغوي على جمع كلام العرب غثه وسمينه، أو هي لهجات مرذولة.

5- الأصوات المستحسنة والمستقبحة كانت وما زالت تفتقد إلى تقييد حدثها بالرسم.

6- لا بد من الاتفاق على ترميز الأصوات الناتجة من تفاعل الأصوات اللغوية في المقطع الصوتي لتيسير عملية القراءة القرآنية.

7- يرافق ابداع النظم ابداع النطق.

8- أداء الأصوات في العبارة القرآنية محكومة بقواعد وأصول منصوص عليها بأحكام التجويد.

فالعرب يتناقلون الأداء الصوتي القرآني بأمانة، فلا يحق البتة للمتمكن أو المتخصص من منح إجازة الأداء إلى من يرغب فيها إلا بعد أخذها ممن ملكها.

ثبت المصادر

1- أبحاث في علم التجويد، الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط1، 1422هـ/ 2002 م.

2- الأصوات اللغوية، د.ابراهيم انيس، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1963م.

3- الأصول في النحو، أبو بكر محمد السراج (317هـ)، تحـ: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987.

4- اعجاز القرآن، الباقلاني. أبو بكر الباقلاني ، دار البيان ، مصر .

5- أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب رومان ياكوبسون، ترجمة فالح صدام الأمارة، والدكتور عبد الجبار محمد علي، مراجعة الدكتور مرتضى باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990.

6- الاقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت540هـ)، تحـ: الدكتور عبد المجيد قطامش، دمشق، ط1، 1403هـ.

7- أمثال من الكتاب والسنة، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت 320هـ)، تحـ: السيد الجميلي، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، 1985.

8- إنباء في تجويد القرآن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع 61، السنة 25 تموز 2001م.

9- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة.

10- بحث اللغوي عند الهنود، د.أحمد مختارعمر، دار الثقافة، بيروت، 1972م.

11- بيان العيوب، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 31- ج1 شوال 1407هـ، يونيو 1987م، ص 30.

12- بيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)،كتب حواشيه إبراهيم بن محمد الدلجموني الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (د.ت).

13- التحديد في الإتقان والتجويد أبو عمرو الداني، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد مطبعة الخلود، بغداد، ط1، 1407هـ/1988م.

14- التطور اللغوي التاريخي الاندلس، بيروت، ط 2، 1981.

15- تنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي (410 هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي،ج2 مج 36 شوال 1405هـ/ حزيران 1985م.

16- تنقية اللغة العربية، مطبوع ضمن لغة الضاد وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد. جامع المفيد في صناعة التجويد. جعفر بن إبراهيم السنهوري83 ونقلاً عن كتاب أبحاث.

17- جهد المقل محمد بن أبي بكر المرعشي، تحقيق: الدكتور سالم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م.

18- خصائص أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ) تحقيق الدكتور محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4، 1410هـ/1990م.

19- دراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط1980،1م.

20- رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، إخوان الصفاء، بيروت، 1957.

21- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466 هـ)، شرح وتصحيح، عبد المتعال الصعيدي، مصر 1969 م.

22- سر صناعة الاعراب ابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1405هـ/1985م.

23-صاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، احمد بن فارس (395هـ) تحقيق: الدكتور احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1977م.
24-علم الدلالة، بيرو جيرو، ترجمة منذر عياش، مكتبة الاسد، دمشق،1992 م.
25-علم اللغة د.علي عبد الواحد وافي، دارنهضة مصر، ط7، د ت.
26-علم اللغة، للدكتور محمود السعران، مصر، دار النهضة العربية، بيروت، لات.د ت.
27-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي الدكتور محمود السعران، دار الفكر القاهرة، ط1417،2هـ/1997 م.
28-العين أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980/1400 م.
29-فقه اللغة وخصائص العربية، الدكتور محمد المبارك، دار الفكر الحديث، لبنان، ط1964،2م.
30- في اللهجات العربية، د إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ط4، دت.
31-الكتاب أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) (180هـ).
32-كتاب الأفعال علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ) الناشر: عالم الكتب ا،لطبعة: الأولى 1403هـ -1983م .
33-لسان العرب فضل محمد بن مكرم بن منظور (711هـ) تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر (د.ت).
34- سبعة في القراءات ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ت324هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف مصر1972.
35-اللغة، فندرييس، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية.
36-اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب 1980.
37- مثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(ت637هـ)، تح: أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، مصر لات.
38-مزهر في علوم اللغة وأنواعها،جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى ومحمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت (د.ت).
39-المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.
40-مناهج البحث في اللغة الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1400هـ/1979م.
41-منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق،علم الدين السخاوي، مجلة المورد، مج17- ع4- السنة 1988م، ص 334.
42-موضح في التجويد عبد الوهاب بن محمد القرطبي (461هـ) تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط1، 1421هـ/ 2000م.
43- نشأة اللغة عند الانسان والطفل، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة دار العروبة، ط 2، القاهرة، 1962.
44-النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية، بغداد 1978.
45-هدية العارفين، البغدادي (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) إسماعيل باشا بن محمد بن أمين البغدادي (1339هـ) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ج1 استانبول 1951م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد.